

## المحاضرة الثانية

### تدوين السنة نشأته وتطوره

#### I - مفهوم التدوين والكتابة والتصنيف

ميز أهل اللغة بين معنى الكتابة و التدوين و التصنيف، على النحو التالي:

أ- معنى الكتابة لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة كتب: "كَتَبَ الشَّيْءَ يَكْتُبُهُ كِتَابًا وَكِتَابَةً، وَكَتَبَهُ: خَطَّهُ؛ قَالَ أَبُو النُّجُومِ:

أَقْبَلْتُ مِنْ عِنْدِ زِيَادٍ كَالْحَرْفِ ... تَخَطُّ رَجُلَايَ بِخَطِّ مُخْتَلِفٍ  
تُكْتَبَانِ فِي الطَّرِيقِ لَامَ أَلِفٍ

ونقل عن الأزهري في معنى الكتاب: أنه اسم لما كُتِبَ مَجْمُوعًا.

وبناء عليه يكون معنى الكتابة هو النسخ وخط الحروف، وهي عملية بسيطة تتحقق في القليل مما قد يقع على ورقة، أو ربما بعضها، كما يمكن أن تتحقق في أكثر من ذلك<sup>1</sup>.

ب- التدوين: هو تقييد المتفرق المشتت، وجمعه في ديوان، أو كتاب تجمع فيه الصحف، قال في "القاموس": "التدوين مجتمع الصحف"<sup>2</sup>.

وقال في "تاج العروس": "وقد دَوَّنَهُ تَدْوِينًا جَمْعُهُ"<sup>3</sup>، فهو بهذا المعنى أوسع من التقييد بمعناه المحدود.

ج- أما التصنيف: فهو أدق من التدوين إذ هو ترتيب ما دُوِّنَ في فصول محدودة وأبواب مميزة. قال في "تاج العروس": "وصنّفه تصنيفاً جعله أصنافاً وميز بعضها عن بعض"، وقال الزمخشري في "الفائق": "ومنّه تصنيف الكتب"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة، د: محمد بن صادق بنكيران، ص: 3-4

<sup>2</sup> - القاموس المحيط للفيروزآبادي 4 / 226 مادة: دون.

<sup>3</sup> - تاج العروس 9 / 204 مادة: دون.

## 2- كتابة الحديث في العصر النبوي :

كان العرب قبل الإسلام يهتمون بالرواية، وكان عليها اعتمادهم في حفظ أشعارهم وأنسابهم وأخبارهم وخطبهم، فقد كانت لديهم ملكة الحفظ وقوة الذاكرة، فلم يكونوا يعتمدون على الكتابة،

وهذا لا يعني أنه لا وجود للكتابة في مجتمع مكة والمدينة، بيد أن عدد الكتاب كان قليلا، وما إن اتسع الإسلام وانتشر في جزيرة العرب، حتى انتشرت الكتابة على نطاق واسع نظرا لأن القرآن الكريم حث على الكتابة في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} البقرة 282

واهتم النبي صلى الله عليه وسلم بطلب العلم وبتعليم أبناء المسلمين الكتابة، وأذن لأسرى بدر أن يفتدوا أنفسهم بتعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة على أن يقوم كل أسير بتعليم عشرة من صبيان المسلمين حتى يطلق سراحه.

ويشهد لهذا وذاك كثرة الصحابة الكتبة - في المرحلة المدنية - فكان للرسول صلى الله عليه وسلم كتاب للوحي بلغ عددهم أربعين كاتباً، وكتاب للصدقة، وكتاب للمداينات والمعاملات، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة<sup>4</sup>.

وقد قام بعض الصحابة بإحصاء المسلمين في المدينة؛ امثالاً لأمره صلى الله عليه وسلم بذلك: "اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام"<sup>5</sup>، والحديث صريح بأن الإحصاء دون وكتب.

إذن لم يعجز الصحابة عن كتابة القرآن كله، وتدوين معاملاتهم ومراسلات نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلم لم يدونوا السنة المطهرة كما دونوا القرآن الكريم، واقتصر السواد الأعظم منهم على حفظها في الصدور دون تدوينها في السطور؟

حاول بعض العلماء والدارسين - قديماً وحديثاً - الإجابة على هذا السؤال، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى وطرائق قديداً، فمنهم من يرى أن السبب يرجع إلى قلة العارفين بالكتابة، وسوء كتابتهم كابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث، وابن خلدون في المقدمة. والحقيقة أن هذا الرأي غير مقنع بتاتا ولا يمكن قبوله،

<sup>4</sup> المصدر السابق مادة صنف

<sup>5</sup> - السنة قبل التدوين 196

<sup>6</sup> - أخرجه البخاري في الجهاد: باب كتابة الإمام الناس: 178 / 6.

فقد ذكرنا سابقا أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب وحي قارب عددهم الأربعين، ناهيك عن كتاب المعاملات والمراسلات.....

وذهب أبو برة في كتابه: "أضواء على السنة المحمدية"، إلى أنه لم تقع كتابة الحديث في عهد النبي بتاتا، ومستنده في هذا أحاديث النهي عن الكتابة. وهذا رأي مستبعد كذلك ويكفي في الرد عليه وتفنيده أن هناك بعض الصحابة كتبوا أحاديث كثيرة في صحائف، بل أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

### 3- أحاديث النهي عن الكتابة

ذكر الخطيب البغدادي في الفصل الأول من كتابه تقييد العلم أحاديث النهي عن الكتابة المرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ومنها:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".<sup>7</sup>
- وعنه أيضا قال: " جهدنا بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن لنا بالكتاب فأبى".<sup>8</sup>
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث، فقال: ما هذا الذي تكتبون؟ فقلنا أحاديث نسمعها منك، فقال كتاب غير كتاب الله؟ أتدرون ما ضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى".<sup>9</sup>
- عن عبد الله بن حنطب قال: " دخل زيد بن ثابت على معاوية، فسأله عن حديث فأمر أناسنا أن يكتبه، فقال له زيد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن لا نكتب شيئا فمحاها".<sup>10</sup>
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أناسا قد كتبوا حديثه، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما هذه الكتب التي بلغني إنكم تكتبون؟ إنما أنا بشر

<sup>7</sup> - أخرجه مسلم في صحيحه، رقم: (3004).

<sup>8</sup> - المحدث الفاضل: "4-5، ونحوه في " تقييد العلم": ص 32، 33.

<sup>9</sup> - تقييد العلم": ص 34.

<sup>10</sup> - نفسه: 35

من كان عنده منها شيء فليأت به ، فجمعناها فاحرقت فقلنا يارسول الله نتحدث عنك ؟ قال :  
تحدثوا ولا حرج ، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"<sup>11</sup> .  
لعل هذه الأحاديث هي ابرز ما يذكر في هذا الباب ، وقد قام الأعظمي في كتابه دراسات في  
الحديث النبوي وتاريخ تدوينه بتتبع طرق هذه الروايات وانتهى إلى ما مفاده: أن هذه الروايات  
كلها على اختلاف طرقها لم يصح منها شيء سوى حديث أبي سعيد الخدري<sup>12</sup> .  
مع أن هذا الأخير مختلف في رفعه ووقفه . قال الحافظ ابن حجر: " ومنهم من أعل حديث أبي سعيد ، وقال :  
الصواب وقفه على أبي سعيد، قاله البخاري وغيره"<sup>13</sup> .  
وذهب رفعت فوزي إلى أنه لا يمكن الجزم بوقفه على أبي سعيد ؛ لأننا نجد الإمام مسلم رواه مرفوعاً<sup>14</sup> .

#### 4 : أحاديث الإذن بالكتابة

وردت أحاديث كثيرة صحيحة ، الإذن بالكتابة فيها صريح ؛ منها:

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: " كنت اكتب كل شيء اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه ، فنهتني قريش وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم بالغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوماً بإصبعه الى فيه ، وقال: اكتب فوالذي نفسي بيده لا يخرج منه إلا الحق"<sup>15</sup> .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم .... وذكر في الحديث أن رجلاً من أهل اليمن طلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتبوا له خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم ، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال : " اكتبوا لأبي شاه"<sup>16</sup> .

<sup>11</sup> - تقييد العلم: 33

<sup>12</sup> - دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه: 1/ 76-96.

<sup>13</sup> - فتح الباري: 1/ 658.

<sup>14</sup> - انظر توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته، ص: 45.

<sup>15</sup> - أخرجه أبو داود ، رقم (3646)، وأحمد 2/ 162، .

<sup>16</sup> - البخاري، رقم: (112)

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن أنصاريًا شكًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة حفظه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "استعن بيمينك"<sup>17</sup>
- عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا نسمع منك أشياء افنكتبها ؟ قال : " اكتبوا ولا حرج "<sup>18</sup>.
- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه : " ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا "<sup>19</sup>
- ما ثبت من كتابة النبي صلى الله عليه وسلم الصدقات والديات والسنن لعمر بن حزم رضي الله عنه<sup>20</sup>.

فهذه ابرز الأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الإذن في الكتابة ،

### 5- آراء العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث

وللعلماء في الجمع بين هذه الأحاديث عدة آراء أهمها:

- أ- أن يكون من منسوخ السنة بالسنة، أي أنه نهى عن كتابة الحديث في أول الأمر خشية التباس القرآن بغيره، وبهذا قال ابن قتيبة، والرامهرمزي، والخطابي وغيرهم.
- ب- أن يكون النهي منصباً على كتابة القرآن مع غيره في صحيفة واحدة، وذهب إلى ذلك الخطابي، والخطيب البغدادي وغيرهما.
- ج- وقيل: النهي خاص بمن خشي منه الاتكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك، وذكره الخطيب في "تقييد العلم" .
- د- وقيل: كي لا يضاهاى بكتاب الله غيره، أو يشتغل عن القرآن بسواه. قال الخطيب البغدادي: " فَقَدْ بُتَّ أَنَّ كَرَاهَةَ مَنْ كَرِهَ الْكِتَابَ مِنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ إِنَّمَا هِيَ لِئَلَّا يُضَاهَى بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرُهُ أَوْ يُشْتَغَلَ عَنِ الْقُرْآنِ بِسِوَاهُ "<sup>21</sup>

<sup>17</sup> - الترمذي : 4 / 145

<sup>18</sup> - أخرجه الطبراني في الكبير 4 / 276

<sup>19</sup> - البخاري، رقم: 114

<sup>20</sup> - جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: 1 / 71

<sup>21</sup> - تقييد العلم: 57

وهناك أقوال أخرى هذه أشهرها وأوجهها.

### 6- نماذج من الصحف المكتوبة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم

ذكر الخطيب البغدادي نماذج من هذه الصحف في كتابه تقييد العلم، في الفصل الأول والثاني، من القسم الثالث، نذكر منها ما يلي:

أ- صحيفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فيها فرائض الصدقة.

ب- صحيفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص، المعروفة بالصحيفة الصادقة.

هذه الصحف الثلاث كلها كتبت في حياته صلى الله عليه وسلم وهناك غيرها كثير مما كتب في حياته صلى الله عليه وسلم.

ج- صحيفة عبد الله بن أبي أوفى، ذكرها الإمام البخاري في كتاب الجهاد من "صحيحه"، باب الصبر عند القتال.

د- صحيفة أبي موسى الأشعري.

ه- صحيفة جابر بن عبد الله.

و- الصحيفة الصحيحة التي يرويها همام عن أبي هريرة من حديثه<sup>22</sup>.

وقد كانت هذه الصحف هي النواة الأولى لما صنف في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

---

<sup>22</sup> انظر: تقييد العلم للخطيب البغدادي، ودراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه للأعظمي،

وتدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لمطر

الزهراني، ص: 78-80.